عالم الماورائيات
في معرفة الغيبيّات
د. كياهى الحاج نووي طبراني
literasi nusantara

عالم الماورائيات

في معرفة الغيبيّات

د . كياهى الحاج نووي طبراني

literasi nusantara

Alam al-Mawaraiyat Fi Ma›rifah al-Ghaibiyat

Penulis : Dr. KH. Nawawi, M.Ag

ISBN : 978-623-495-297-1

Copyright ©Desember 2022

Ukuran: 15.5 cm x 23 cm; Hal: vi + 90

Isi merupakan tanggung jawab penulis.
Hak cipta dilindungi oleh undang-undang. Dilarang mengutip atau memperbanyak baik sebagian ataupun keseluruhan isi buku dengan cara apa pun tanpa izin tertulis dari penerbit.

Desainer sampul : An Nuha Zarkasyi
Penata isi : An Nuha Zarkasyi

Cetakan 1, Desember 2022

Diterbitkan, atas kerja sama:

CV. Literasi Nusantara Abadi
Perumahan Puncak Joyo Agung Residence Kav. B11 Merjosari
Kecamatan Lowokwaru Kota Malang
Telp : +6285887254603, +6285841411519
Email: penerbitlitnus@gmail.com
Web: www.penerbitlitnus.co.id
Anggota IKAPI No. 209/JTI/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أضاء عالم الغيب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الحبيب وعلى اله وصحبه و التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين أجمعين أما بعد:

فالغيب هو كل حقيقة لا يدرك طبيعتها العقل أو لا يتعامل معها الإنسان بالحواس حيث لا سبيل إلى معاينتها أو الوقوف عليها، والغيب لايعلمه الا الله تعالى لكنه يدركها، كالنور المحمدي والحشر و البيت العمور والجنة والنار أو كالمستقبل وما سيقع فيه. وهو ما لا سبيلَ للعقل إلى العلم به عن طريق الحواس بحالٍ ما، أو هو ما استأثَر الله بعلْمه وحجبه عن جميع خلْقه، قال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾[1].

ولا نزيد أن يفوتنا فى نهاية هذا التقديم أن نسأل الله أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان الحسنات، إنه ولي

[1] [الأنعام: ٥٩]

ذلك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه، وأخر دعوهم أن الحمد لله رب العالمين، والله من وراء القصد.

كتبـه:

نووي طبراني

سيتوبوندو، نوفمبر ٢٠٢٢ م

فهرس

النُورُ المُحَمّدي ١

عرش الله ١١

البيت المعمور ١٧

عالم الملك وعالم الملكوت وعالم الجبروت ٢٣

سدرة المنتهى ٣١

الصراط ٣٧

الميزان ٤٣

الحوض ٤٩

المحشر ٧٥

الجنة والنار ٦٧

رؤيةَ الله فى الآخرة ٨٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

النُورُ المُحمّدي

قد أطلق الله النور على نفسه، كقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٢]

النور في القرآن على خمسة أنواع: نور الرحمن، ونور القرآن، ونور النبي ﷺ، ونور الإيمان، ونور الأكوان. فأما النور الرحماني فيقول ابن عطاء الله السكندري: ﴿ الكون كله ظلمة و إنما أناره ظهور الحق فيه ﴾[٣] أي الكون من حيث ظهور حسه كله ظلمة

---

[٢] [النور :٣٥].

[٣] أنظر ابن عطاء الله السكندري «الحكم العطائية»

لأنه حجاب لمن وقف مع ظاهره عن شهود ربه، وهذا في حق أهل الحجاب لانطباع ظاهره فى مرآة قلوبهم، وأما أهل العرفان فقد نفذت بصيرتهم إلى شهود الرب، فرأوا الكون نورا فائضا في بحر الجبروت فسار عندهم نورا.

وأما نور النبي ﷺ، فيراد به الدرة البيضاء وهو أول شيء خلقه الله تعالى، مصداق الحديث: ﴿يا جابر إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيّك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنّة ولا نار ولا مَلَك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا إنسي﴾. هذا يدل على أن أول المخلوقات هو النور المحمدي، فأما عظمته سبحانه فقال له: اسكن يا نور، فسكن، ثم ظلّ ينظر إلى هذا النور فكان نوراً هائماً طرباً، فأخذه ووضعه أمامه، فحمده النور وعندها سمّى النور: أحمد، ومن هذا النور خلق العرش والكرسي واللوح والقلم.

أثبت القرآن نورانيته ﷺ، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو

عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[٥]. وهو ﷺ نور ومنير، ولا شيء في أن يعتقد المؤمن بأنه ﷺ نورًا لأن الله قد وصفه بذلك وسماه نورًا، ولقد ثبت في السنة أن الصحابة رضي الله عنهم يقولون: إن وجهه ﷺ كالقمر[٦] ، و أخبر ﷺ أنه عندما حملت فيه أمه: ﴿ رأت نورًا أضاء لها قصور بصرى من أرض الشام ﴾.[٧]

عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال: قلت: يا رسول الله بأبى أنت وأمى أخبرنى عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء، قال " يا جابر فإن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره -فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى، ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار، ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا إنس فلما أراد الله أن يخلق

---

[٤] [المائدة: ١٥]،

[٥] [الأحزاب: ٤٦]

[٦] [رواه النسائي]

[٧] [أنظر حلية الأولياء].

الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثانى اللوح، ومن الثالث العرش. ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الثانى الكرسى، ومن الثالث الملائكة. ثم قسم الجز الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول السماوات ومن الثانى الأرضين ومن الثالث الجنة والنار. ثم قسم الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ومن الثانى نور قلوبهم، وهى المعرفة بالله، ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله ... إلى آخره.

وأكد أصحابه رضوان الله عليهم أن: ﴿ النبي ﷺ عندما دخل المدينة أضاء منها كل شيء، وعندما مات أظلم منها كل شيء﴾[٨] ولا ينبغي أن ننفي أن ذلك النور كان حسياً، فليس هناك ما يتعارض مع أنه ﷺ كان نورا ومنيرًا، وأنه ﷺ له نور حسي مع أصل العقيدة.

[٨] [أحمد والترمذي وابن ماجه]

وفي حديث آخر: ﴿أو ما خلق الله القلم﴾ فإن القلم هو قلم نوراني ويسمى العقل الكلّي وهو من نور محمد.ثم أفاض الله تعالى النور في الكون فأوجد المكونات وأنشأ منه كلّ شيء صغيراً كان أم كبيرا. وأخذ منه قطرة أوجد منها السموات السبع وما فيهن، وجعل فيهن اثني عشر برجاً وثلاثين فلكاً من نور، وأوجد الشمس والقمر، وخلق سبعين ألف عالم من نور محمد يسبحون الله ويقدّسونه إلى يوم القيامة. ثمّ أخذ من النور قطرة خلق منها عالم الكوكب والنجم وجعلها أفلا كاً مفلّكة مستديرة يدور بعضها حول بعض. ثم أوجد في كل سماء سبعين عالماً. ثم أخذ قطرة أخرى من النور خلق منها الأرض وأخرج الجبال الراسيات وشقّ أنهارها.

إن الأنبياء عليهم السلام وإن سقوا من نوره لم يشربوه بتمامه بل كل واحد يشرب منه ما يناسبه وكتب له فإن النور المكرم ذو ألوان كثيرة وأحوال عديدة وأقسام كثيرة فكل واحد شرب لونًا خاصًا ونوعًا خاصًا، وعيسى ﷺشرب من النور المكرم فحصل له مقام الغربة، وهو مقام يحمل صاحبه على السياحة، وعدم القرار في

موضع واحد. وإبراهيم عليه سلم شرب من النور المكرم فحصل له مقام الرحمة والتواضع مع المشاهدة الكاملة؛ فتراه إذا تكلم مع أحد يخاطبه بلين، ويكلمه بتواضع عظيم، فيظن المتكلم أنه يتواضع له وهو إنما يتواضع لله عز وجل لقوة مشاهدته. وموسى عليه سلم شرب من النور المكرم فحصل له مقام مشاهدة الحق سبحانه في نعمه وخيراته وعطاياه التي لا يقدر قدرها. وهكذا سائر الأنبياء عليهم السلام والملائكة الكرام.[٩]

قال ابن عربي: بدء الخلق الهباء وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية الموصوفة بالاستواء على العرش الرحماني وهو العرش الإلهي.[١٠] يعني أن الخلق بالهباء أي الذرات وأول موجود وجد بذات قائمة محدودة هي ذات الرسول التي سماها الحقيقة المحمدية الرحمانية الموصوفة بالاستواء على العرش الرحماني وهو العرش الإلهي.

[٩] عبد العزيز الدباغ، الأبريز ص.٢٢٦

[١٠] ابن عربي، الفتوحات المكية ج١ ص.١٥٢

ولولا النور لما ظهر للممكنات عين، كدعائه ﷺ: اللهم اجعل في سمعي نورا، وفي بصري نورا، وفي شعري نورا، حتى قال: واجعلني نورا، وهو كذلك ﴿أي نور﴾. وإنما طلب مشاهدة ذلك ﴿كونه نوراً﴾ في الحس».[11] فإذا عمد الإنسان إلى مرآة قلبه وجلاها بالذكر تلاوة للقرآن، فحصل له من ذلك نور، والله نور منبسط على جميع الموجودات يسمى: نور الوجود.»[12]

وأقر الدردير المالكي معنى ﴿ونوره﴾ ﷺ ﴿أصل الأنوار﴾ والأجسام؛ كما قال ﷺ لجابر رضي الله عنه : ﴿ول ما خلق الله نور نبيك من نوره﴾ وذلك واسطة في جميع المخلوقات. وقال العجلوني: ﴿ وقيل الأولية في كل شيء بالإضافة إلى جنسه، أي أول ما خلق الله من الأنوار نوري وكذا باقيها، وفي أحكام ابن القطان فيما ذكره ابن مرزوق عن علي بن الحسين عن أبيه عن

[11] ابن عربي, الفتوحات ٢٩٢/٣

[12] ابن عربي، الفتوحات ٢٤١/٢

جده أن النبي ﷺ ، قال: كنت نورًا بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام.[١٣]

فأما من حيث المادة فكان النبي ﷺ بشرًا كالبشر، ليس مخلوقًا من نور، ولا من ذهب، وإنما خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب. أما من حيث رسالته فهو نور من الله؛ مصداق قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[١٤]: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[١٥] فالنور هنا رسول الله.[١٦]

إنه ﷺ خلق وولد كما ولد سائر البشر لكنه فى حقيقته نوراً، قال تعالى «قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ «[١٧]وجمهور المفسرون يشيرون الى أن الله اراد فى قول « نور» الرسول ﷺ. ورآى دار الإفتاء: هو نورٌ بإجماع المسلمين، بل هو نور الأنوار، والسراج المنير

---

[١٣] أنظر محمد العجلوني الجراحي ، كشف الخفاء.

[١٤] الأحزاب: ٤٥-٤٦

[١٥] المائدة: ١٥

[١٦] متفق عليه

[١٧] المائدة

الذي نَوَّر الله به مُلكه وملكوته. و هو نور حقيقي وحسى كما قالت عائشة: كنت في حجرتي أخيط ثوباً لي فانكفأ المصباح، وأظلمت الحجرة، وسقط المخيط أي الإبرة، فبينما كنت في حيرتي أتحسس مخيطي إذ أطل علي رسول الله ﷺ بوجهه فالتقطت المخيط من نور رسول الله.

والحاصل أن جميع الموجودات من فوقها وتحتها وعرشها وفرشها هي من النور المحمدي وواقعة في دائرة النور المحمدي ﷺ . فالموجودات كلها متعددة، منها عالم الشهادة، ومنها عالم الغيب، كعالم الروح، وعالم الجن، وعالم الملائكة، وهناك أنوار، فليس هناك ما يمنع أن يكون النبي ﷺ أول الأنوار وفاضت منه الأنوار إلى العالم كله.

عرش الله

العرش لغةً: سريرُ المُلْك، ومنه قوله تعالى عن ملكة سبأ: «ولها عرش عظيم»,[١٨] العَرْشُ قِوَامُ الأمر؛ يقال: استوى المَلِكُ على عَرْشِهِ: وسمّي عرشًا؛ لارتفاعه، كما قال فى قوم فرعون: «وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ» واصطلاحًا: هو الذي أضافه الله تعالى لنفسه في مثل قوله تعالى: «ويحمل عرش ربّك فوقهم يومئذٍ ثمانية»

أدلة إثبات العرش قوله تعالى: «ذو العرش المجيد». و قوله تعالى: «رفيع الدّرجات ذو العرش". و قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى». و قوله تعالى: «لا إله إلا هو ربّ العرش الكريم". و قول الرسول ﷺ في دعاء الكرب: ﴿لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ

[١٨] النمل آية ٢٣

ورَبُّ الأَرْضِ، ورَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ ﴾[١٩] وقوله ﷺ: «اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَنِ لِمَوْتِ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ.»

قد اتَّفَق السنة والجماعة أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى؛ مثل: الجنة، والنار، والعرش، قال تعالى: ﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾.[٢٠]

إن الله تعالى لا يحويه مكان ولا يحده زمان؛ لأن المكان والزمان مخلوقان، والله تعالى أن يحيط به شيء من خلقه، بل هو خالق كل شيء، وهو المحيط بكل شيء، وهذا الاعتقاد متفق عليه بين المسلمين لا يُنكره منهم مُنكِرٌ، وقد عبَّر عن ذلك أهل العلم بقولهم: «كان الله ولا مكان، وهو على ما كان قبل خلق المكان، لم يتغير عما كان".

---

[١٩] صحيح البخاري

[٢٠] [الحاقة: ١٤ - ١٧].

وسئل ذو النون المصري رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾[٢١] فقال: «أثبت ذاته ونفى مكانه، فهو موجود بذاته والأشياء بحكمته كما شاء».[٢٢] قال جعفر الصادق: «مَنْ زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، إذ لو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان على شيء لكان محمولًا، ولو كان من شيء لكان مُحْدَثًا».[٢٣]

وسأل رجُلٌ مالِكَ بنَ أنَسٍ عن قَولِه: الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى[٢٤] كيف استوى؟ فأطرَقَ رأسَه مَلِيًّا وعَلاه الرُّحَضاءُ ثمَّ قال: الاستواءُ غيرُ مجهولٍ، والكيفُ غيرُ معقولٍ، والإيمانُ به واجِبٌ، والسُّؤالُ عنه بِدعةٌ، وما أظنُّك إلَّا ضالًّا، ثمَّ أَمَرَ به فأُخرِجَ. ويُروى هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفًا، ومرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

---

[٢١] [طه: ٥]

[٢٢] أنظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي ٩/ ٤٢، ط. دار هجر للطباعة والنشر.

[٢٣] انظر: «الرسالة القشيرية» ١/ ٢٩، ط. دار المعارف بالقاهرة.

[٢٤] [طه: ٥]

وقال ابنُ كثيرٍ: ﴿قَولُه تعالى: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾،[٢٥] للنَّاسِ في هذا المقامِ مقالاتٌ كثيرةٌ جِدًّا، وإنما يُسلَكُ في هذا المقامِ مَذهَبُ السَّلَفِ الصَّالِحِ: مالِكٍ، والأوزاعيِّ، والثَّوريِّ، واللَّيثِ بنِ سَعدٍ، والشَّافعيِّ، وأحمَدَ بنِ حَنبلٍ، وإسحاقَ بنِ راهَوَيهِ، وغَيرِهم مِن أئِمَّةِ المسلِمينَ قديمًا وحديثًا، وهو إمرارُها كما جاءت مِن غيرِ تكييفٍ ولا تشبيهٍ ولا تعطيلٍ. والظَّاهِرُ المتبادِرُ إلى أذهانِ المشَبِّهينَ مَنفيٌّ عن اللهِ؛ فإنَّ اللهَ لا يُشبِهُه شَيءٌ من خَلْقِه.

وأما ما ورد في الكتاب والسنة على علوه تعالى على خلقه؛ فالمراد بها علو المكانة والشرف والهيمنة والقهر؛ لأنه تعالى منـزه عن مشابهة المخلوقين، وليست صفاته كصفاتهم، وليس في صفة الخالق ما يتعلق بصفة المخلوق من النقص، بل له تعالى من الصفات كمالُها ومن الأسماء حُسْنَاها، وكل ما خطر ببالك فالله تعالى خلاف ذلك، والعجز عن درك الإدراكِ إدراكُ، والبحث في كنه ذات الرب إشراكُ.

[٢٥] [الأعراف: ٥٤]

فلو قال مسلم: «الله في السماء» فإنه يحمل قوله على معنى أن الله له صفة العلو المطلق في المكانة على خلقه، لأن الله تعالى منزه عن الحلول في الأماكن، فهو سبحانه بكل شيء محيط، ولا يحيط به شيء، والقول بأن الله تعالى في السماء معناه: علوه على خلقه لا أنه حال فيها حاشاه سبحانه وتعالى، أما من يعتقد أن الله تعالى في السماء بمعنى أنها تحيط به إحاطة الظرف بالمظروف فهذا أمر لا يجوز اعتقاده، ويجب تعليمه حينئذ الصواب من الخطأ في ذلك وكشف الشبهة العالقة بذهنه.

وقد قال العلماء القدامى: إن كل ما خطر ببالك فالله مغايرٌ لذلك فلا يمكن للأله العظيم الذى أبدع هذا الكون أن يحده المكان لأنه هو خالق المكان ولا ان يحده الزمان لأنه هو خالق الزمان ولا تشكله المادة والطاقة لأنه هو خالق كلاً من المادة والطاقة.

وكذا علماء الفلك من غير المسلمين يقولون اليوم: ونحن فى زمن التقدم العلمى والتكنولوجى يقولون أن هذا الكون لابد له من مرجعية فى خارجه، وهذه المرجعية لابد أن تكون مغايرة للكون

مغايرةٌ كاملة لا يحدها المكان ولا يحدها الزمان لا تشكلها المادة ولا تصنعها الطاقة. وهذا تفسيرٌ علمى يؤكد على وجود الخالق، كما ذكره الله فى وصف ذاته السامية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾.[٢٦]

[٢٦] [الشورى:١١].

البيت المعمور

هو بكثرة الغاشية والأهل، وهو بيت في السماء حذاء العرش بحيال الكعبة يقال له: الضراح، حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون إليه أبدا . و يكون بمحاذاة العرش، وبمحاذاة الكعبة. وقيل: هو البيت الحرام، وسمى به لأنه معمور بالحجاج والعمار.

قد ورد البيت المعمور مرة واحدة في القرآن الكريم، يقول تعالى: «والطور . وكتاب مسطور . في رق منشور . والبيت المعمور . والسقف المرفوع»[٢٧] أقسم الله تعالى بالطور، وهو الجبل الذي كلّم تعالى موسى عليه السلام، و بالكتاب المسطور وهو القرآن الكريم، وبالبيت المعمور وهو البيت الذي تطوف حوله الملائكة الكرام.

[٢٧] الطور ١- ٥

والحديث :عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: والبيت المعمور هو بيت حذاء العرش، تعمره الملائكة، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفًا من الملائكة، ثم لا يعودون إليه..

وأما حج الملائكة فإن لهم كعبة في السماء السابعة يحجون إليها، وهي التي أسماها الله تعالى: البيت المعمور، وأقسم بها سبحانه: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾.

عن أنس, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لَمّا عَرَجَ بِي المَلَكُ إلَى السَّماء السَّابِعَة انْتَهَيْتُ إلَى بِنَاء فَقُلْتُ لِلْمَلَك: ما هَذَا؟ قال: هذا بِنَاء بَنَاه اللهُ للمَلائكَةِ يَدخُلُه كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَك, يُقَدِّسُونَ اللهَ ويُسَبِّحُونَهُ, لا يَعُودُونَ فِيه ".

في حادثة الإسراء والمعراج قول الرسول ﷺ فأتينا السّماء السابعة، قيل من هذا؟ قيل: جبريل، قيل من معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه، مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على إبراهيم فسلّمتُ عليه، فقال: مرحباً بك من ابن ونبيٍّ، فرفع لي البيت المعمور، فسألتُ جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلّي

فيه كلّ يومٍ سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم.[٢٨]

إن في كل سماء بيتاً يتعبد فيه أهلها، ويصلون إليه، والذي في السماء الدنيا يقال له: بيت العزة. والبيت المعمور مسجد أهل السّماء ومقصد عبادتهم، وسُمي بذلك لأنّه بيت في السماء يُعمّر بكثرة الطائفين والعاكفين ورود الملائكة عليه، كماقال نبيُّ الله ﷺ: «رفِعَ إليَّ البَيْتُ المَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يا جبريلُ ما هَذَا؟ قال: البَيْتُ المَعْمُورُ، يَدْخُلُه كُلَّ يَوْم سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إذَا خَرَجوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا آخِرَ ما عَلَيْهِمْ.[٢٩]

قال ابن جرير: إنّ رجلاً قال لعلي : ما البيت المعمور؟ قال : بيتٌ في السّماء يُقال له الضّراح وهو بحيال الكعبة من فوقها، حُرمته في السّماء كحرمة البيت في الأرض، يُصلّي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة، لا يعودون فيه أبداً». قال الضحاك في قوله تعالى: ﴿

[٢٨] رواه البخاريّ

[٢٩] أنظر تفسير ابن جرير الطبري

وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ يزعمون أنه يروح إليه كلّ يوم سبعون ألف مَلك من قبيلة إبليس, يقال لهم الجنّ. وزعم الضحاك أنه يعمره طائفة من الملائكة يقال لهم : الجن ، من قبيلة إبليس ، فالله أعلم

وقال الربيع بن أنس : إن البيت المعمور كان في الأرض موضع الكعبة في زمان آدم عليه السلام ، فلما كان زمان نوح عليه السلام أمرهم أن يحجوا فأبوا عليه وعصوه ، فلما طغى الماء رفع فجعل بحذائه في السماء الدنيا ، فيعمره كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم لا يرجعون إليه حتى ينفخ في الصور ، قال : فبوأ الله جل وعز لإبراهيم مكان البيت حيث كان ; قال الله تعالى : وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع والسجود .

وقد وجد النبي ﷺ ليلة المعراج إبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور؛ لأنه باني الكعبة الأرضية، والجزاء من جنس العمل، فلما بنى الكعبة لأهل الأرض أكرمه الله تعالى بدخول الكعبة التي هي في السماء السابعة.

وذكر ابن كثير أن البيت المعمور بحيال الكعبة، أي: في موازاة ومحاذاة الكعبة، ولذلك ورد في الخبر أن البيت المعمور لو خر على الأرض لخر على الكعبة، أي: لسقط على الكعبة، فالبيت المعمور في السماء السابعة في مقابلة الكعبة، أي: فوقها، فلو وقع لوقع عليها.

وجد إبراهيم الخليل عليه السلام مسندا ظهره إلى البيت المعمور; لأنه باني الكعبة الأرضية، والجزاء من جنس العمل، وهو بحيال الكعبة ، وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها، ويصلون إليه . قال الله: وإذ قال ربك للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ قال: إني أعلم ما لا تعلمون». ومعظم المفسرون يشيرون إلى أن الملائكة كانت تتعبد وتطوف حول الكعبة في الأرض، ثم أخذت تطوف حول البيت المعمور في السماء السابعة حين هبوط آدم عليه السلام إلى الأرض ليكون خليفة الله في الأرض .

قال الله تعالى: «إن أول بيت وُضِعَ للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين»[٣٠] فإن ﴿وُضِعَ﴾ فعل ماض مبني للمجهول للدلالة على أن الناس ليسوا هم الذين أقاموا المسجد الحرام، فالمسجد الحرام هو أول بيت في الأرض قد وضعته الملائكة للناس من أمر الله تعالى .

العلاقة بين البيت المعمور والكعبة كما يلي: الأول: البيت المعمور في السماء، بينما الكعبة في الأرض، والثاني: تطوف الملائكة حول البيت المعمور ويطوف الناس حول الكعبة، وقد بدأت الملائكة بالطواف حول البيت المعمور بعد هبوط آدم إلى الأرض . والثالث: يقع البيت المعمور فوق الكعبة في المستوى العمودي .

٣٠ آل عمران ٩٦

عالم الملك وعالم الملكوت وعالم الجبروت

الملك: هو ما نراه باعيننا المجردة من هذه المخلوقات في هذه الدنيا. الملكوت[٣١] لغة المُلْك والمالك، وهو الله، و هو مُلك الله وملكوته: أي سلطانه وعظمته، و هو صيغة مبالغة من المُلك. هو عالم غير مرئي، يحتوي على عديد من الكائنات، كالملائكة والشياطين والجن والجحيم، قد يقال له عالم المثل ولكنه مختلف عنه، لكونه عالما أعلى منزلة منه. الملكوت هو ما فوق العرش إلى تحت الثرى وما بين ذلك من الأجسام والمعاني والأعراض. والجبروت ما عدا الملكوت. وأما عالم الملكوت فالعبد له فيه اختيار، ثم إذا دخل في عالم الملكوت صار مجبورا على أن يختار ما يختار الحق وأن يريد ما يريد، لا يمكنه مخالفته أصلا.

[٣١] ذكرت في القرآن الكريم ثلاث مرّات أولها كانت في سورة ﴿لمؤمنين﴾ بالأية ٨٨، ووردت ثانيها في سورة «يس﴾ بالأية ٨٣ منها في صيغة ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾. والأخيرة كانت بسورة ﴿لأنعام﴾ بالأية ٧٥ وعلى شكل ﴿مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.

و الملكوت: هو عالم السماء من شمس ونجوم ومجرات وعالم الملائكة وعالم الجن وعالم الارواح، وان الجبروت :هو عالم الغيب وعالم الحق وأحد اسماء الحضرة الالهية فالله تعالى هو ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت . عالم الغيب هو عالم الباطن وهو الجبروت وان عالم الظاهر هو عالم الشهادة وعالم الملك والملكوت والظاهر هو الباطن ،وما بطن في عالم الغيب هو الذي ظهر في عالم الشهادة.[٣٢] عالم الجبروت هو الحضرة القدسية أي العظمة الازلية القديمة اللطيفة الخفية.

ورآى ابن عجيبة أن للوجود ثلاث أقانيم: **أولا:** وجود أصلي أزلي وهو الذي لم يدخل عالم التكوين ويسمى عالم الامر وعالم الغيب وهو المسمى عالم الجبروت. **ثانيا:** وجود فرعي :وهو النور المتدفق من بحر الجبروت وهو كل ما دخل عالم التكوين لطيفا كان او كثيفا ويسمى عالم الشهادة وعالم الخلق وهو المسمى بعالم الملكوت لما غرق فيه وجمعه بأصله. **ثالثا:** وجود وهمي وهو محل

[٣٢] انظر ابن عجيبة كتاب شرح الحكم ص ٤٣ ج١

ظهور التصرفات الالهية ومقتضى الاسماء الجلالية والجمالية وهو عالم الملك.[٣٣]

الملك والملكوت والجبروت، كما يفرق بين ولده وأمه وأبيه ،ويحتمل أن يكون التشبيه من حيث الايجاد والظهور فان عالم الجبروت سبب في ظهور عالم الملك، فهو أشبه شيء بالوالد عالم الملكوت محل استقرار الصفات كالقدرة والإرادة والعلم والحياة التي هي سبب في اظهار اثارها لعالم الملك فهو اشبه بالأم في تربية الولد قبل الظهور وبعده، وعالم الملك محل ظهور التصرفات الالهية واثار القدرة الازلية فهو أشبه شيء بالولد لظهوره بينهما.

فرق الإمام علي جمعة بين الملك، والملكوت أن الملك هو ما ندركه، والملكوت هو ما خلف هذا المنظور من عالم الجن، والملائكة، والجنة، والعرش، وغيرها؛ ولذلك هناك عالم الغيب والشهادة. وقال: «لما جاء الرسول، أتى بمعجزة على مثلها آمن البشر، وأخبرنا عن الله، واتفقت كلمة جميع الرسل فى أخبارهم عن الله

[٣٣] أنظر ابن عجيبة ص ١٠٩-١١٠ ج ١

عز وجل، وبأن هناك عالم آخر غير منظور، ولذلك كان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، و هذا يؤثر في السلوك الاجتماعي، وهو قضية التكليف وهو من صلاة وصيام وغيره، استوجب حسابا يترتب عليه ثواب أو عقاب، وهذا يكون في يوم آخر فحينئذ كان هناك الإيمان باليوم الآخر. فإن القضية الكبرى هى قضية الإله، والقضية الثانية هي تكليفه، الذي يتم بالوحي عن طريق الرسل، والقضية الثالثة، هي الإيمان بالكتب التي نقلت هذا الوحي ، ثم قضية الإيمان بالغيب، ثم قضية الإيمان باليوم الآخر.

الملك والملكوت والجبروت محلها واحد، لكن تختلف النظرة بأختلاف الترقي في المعرفة. من نظر الكون ورأه كونا مستقلا بنفسه قائما بقدره الله ولم يكشف له عن رؤية صانعه وعاش في عالم التوهم سمي بعالم الملك. الملكوت هو محل نزهة العارفين بالرياض مشتمل على ازهار ونور، قال الغزالي: من طوي لله أربعين يوما ظهرت له قدره من الملكوت، أي كوشف ببعض الأسرار الإلهية.[٣٤] عالم

[٣٤] الغزالي، إحياء علوم الدين ج٣/٧٨

الجبروت هو ما يفهم بالبصيرة والعلم لكن بعد معرفة عالم الملكوت وهو عالم أسرار والصفات الألهية.

قال ابن عجيبة : فالكون أصله كله نور وانما حجبه ظهور الحكمة فيه فمن رأى الكون ولم يشهد النور فيه أو قبله او معه فقد أعوزه وجود الانوار ، فاذا ضم النور الى أصله صار الجميع نورا واحدا وهو نور الجبروت أو سر اللاهوت :فقد علمت ان الملك والملكوت والجبروت محلها واحد وأهل العرفان لا يرون الا عالم الارواح مع ان المحل واحد.[٣٥]

هناك أيضا العوالم الكلّيّة وهي على خمسة أنواع :

اوّلا: عالم الذات، وهو ما يطلقون عليه باللاهوت والهويّة الغيبيّة، والغيب المجهول، وغيب الغيوب، وعين الجمع، وحقيقة الحقائق، ومقام أو أدني، وغاية الغايات، ونهاية النهايات، والاحديّة.

ثانيا: عالم الصفات، وهو ما يطلقون عليه بالجبروت، و برزخ البرازخ،

[٣٥] أنظر ابن عجيبة ص ١١٠-١١١ ج١

والبرزخيّة الأُولي، ومجمع البحرين، وقاب قوسين، ومحيط الاعيان، والوحدانيّة، والعماء. ثالثا: عالم الملكوت، ويسمّونه عالم الارواح، وعالم الافعال، وعالم الامر، وعالم الربوبيّة، وعالم الغيب والباطن. رابعا: عالم المُلك، ويطلقون عليه عالم الشهادة، والعالم الظاهر، وعالم الاَثار، والخلق، والمحسوس. خامسا: عالم الناسوت، ويطلقون عليه الكون الجامع، والعلّة الغائيّة، وآخر التنزّلات، ومَجْلَي الكلّ.

فالعوالم الثلاثة منها هي من عالم الغيب، لانّها لايمكنها الإدراك من الحواسّ الخمس، وأمّا الاخران فهما عالم الشهادة، لا نّهما يمكنهما الإدراك بها. وفي القرآن جاء القسم بقوله: فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ، وهما عالم الظاهر، وعالم الباطن، أو الغيب والشهادة، يحتوي على العوالم الخمسة. وعالم اللاهوت هو أصل كلّ تلك العوالم، فمثل اللاهوت إلى سائر العوالم، كقطرة الماء إلى البحر.

وإنما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت كالسفينة التي هي في الحركة بين الأرض والماء. وكل من يمشى على الأرض

يمشى في عالم الملك والشهادة فإن جاوزت قوته إلى أن يقوى على ركوب السفينة كان كمن يمشى في عالم الجبروت فإن انتهى إلى أن يمشى على الماء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تتعتع فإن كنت لا تقدر على المشى على الماء فانصرف فقد جاوزت الأرض وخلفت السفينة ولم يبق بين يديك إلا الماء الصافى.

عالم الجبروت لا تدركه الا القلوب الصافية، فاذا طهُرَتْ القلوب لا تنظر إلاَّ لحضرة علاَّم الغيوب. فإذا أرادت أن تَزِوغ ذات اليمين وذات الشمال، أو تزوغ فى الشهوات أو فى الأهواء، وصلها رسول الله ﷺ به فسَكَنَتْ إلى الله فوراً، ﴿إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾، تسكن فيسكن القلب، وإذا سكن القلب إلى الله لم يلتفت إلى سواه. سيدنا أبو بكر رضى الله عنه يقول: ﴿من ذاق جرعة من صافى طهور محبَّة الله، لم يلتفت عن الله نفساً إلى سواه﴾. جرعة واحدة فقط من الطهور الصافي، و قال أبو العزائم: ﴿لو فُتِحَ قلبُ المريد قَدْرَ سَمِّ الخياط - يعنى قَدْرَ فتحة الإبرة - لم يلتفت عن الله نفساً، ولو صُبَّتْ عليه البَلِيَّات﴾.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٣٦] أى: لمع قلوبهم، فجعلها لامعة بأنواره، تلمع بالأنواره القدسية، لا تلمع بالشهوات ولا بالحظوظ، فيريد أن يحافظ على القلب دائماً. وذلك هى المكاشفة بأسرار الله، والاطلاع على غيوب الله، هذه هى الهداية: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [٣٧]

[٣٦] العنكبوت ٦٩

[٣٧] التغابن ١١

سدرة المنتهى

هي شجرة وقف عندها رسول الله ﷺ، مع جبريل في رحلة المعراج، تقع على يمين العرش في السماء السابعة، وينتهي إليها علم الملائكة، وجذورها في السماء السادسة بها من الحسن ما لايستطيع بشر أن يصفه كما في الحديث: ﴿ ثم ذهب بي إلى السدرة المنتهى، وإن ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال. قال، فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها.[٣٨] ورجّح الإمام النّووي أن تكون سدرة المنتهى أصلها في السماء السادسة، وتمتدُّ فروعها وغصونها إلى السماء السابعة وما بعدها.

قد ذكرها القرآن الكريم ﴿ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾[٣٩] وقال رسول الله ﷺ: ﴿ وَرُفِعَت لي سِدْرَة المُنتَهى فَإذا نَبقُهَا كَأنه قِلَالُ

[٣٨] رواه مسلم

[٣٩] النجم ١٥

هَجَرَ وورقُهَا كَأنه آذَان الْفُيُولِ في أَصلها أَربعة أَنهار نهرانِ باطِنَانِ ونهرانِ ظَاهِرانِ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ: أَما الباطِنَانِ فَفي الْجنَة وَأَما الظاهرانِ النيلُ والْفُرَات﴾[٤٠]قال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: « لَمَّا انْتَهَيْتُ إلى السَّماءِ السَّابِعَة أَتَيْتُ عَلى إبْرَاهيمَ فَقُلْتُ: يا جبْريلُ مَنْ هَذا؟ قال: هَذَا أَبُوكَ إبْراهِيمُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبَا بالابن الصَّالِح والنَّبِيّ الصَّالِح، قال: ثُمَّ رُفِعَتْ لي سِدرَةُ المُنْتَهَى فحدّث نبيّ الله أنّ نبقها مثل قلال هجر، وأن ورقها مثل آذان الفِيلة «.

ذكر في الحديث أن سدرة المنتهى ينبعث منها نهران ظاهران، واثنان في السماء، وقيل إن النهرين الظاهرين، هما النيل والفرات، وإن كان البعض يقول إنه قد أُطلق على نهريّ الفرات والنّيل أنّهما من الجنّة تشبيهاً بأنهار الجنّة؛ لعذوبتهما وصفائهما وبركتهما. وقيل إنه قد يكون أصل الفرات والنّيل من الجنّة كأصل الإنسان.

وإنّها اختِيرت من بين الأشجار؛ لأنّ ثمرها لذيذ ورائحتها زكيّة وظلّها ممدود. قال الماوردي في معاني القرآن: «فإن قيل لِمَ اختيرت

[٤٠] رواه البخاري- كتاب بدء الخلق- باب ذكر الملائكة- حديث رقم ٢٩٦٨

السِّدرة دون غيرها من الشجر؟ قيل: لأن السِدرة تختص بثلاثة أوصاف: ظل مديد، وطعم لذيذ، ورائحة ذكية فشابهت الإيمان الذي يجمع قولًا وعملًا ونية، فظلها من الإيمان بمنزلة العمل لتجاوزه، وطعمها بمنزلة النية لِكُمُونه، ورائحتها بمنزلة القول لظهوره".[٤١]

هذه شجرة مباركة، خير في السماء والأرض لأن وقوف سيدنا محمد عند سدرة المنتهى تبعه فرض الصلوات الخمس. هذا الشجر رمز للزراعة وأصل كل حضارة وتقدم والصلاة أصل كل دين وارتقاء.

واختلف العلماء على تسميتها بذلك على أقوال: منها مذهب ابن مسعود أنه ينتهي إليها كل ما يهبط من فوقها ويصعد من تحته، و مذهب ابن عباس أنه ينتهي علم الأنبياء إليها ويعزب علمهم عما وراءها. و منها مذهب علي والربيع بن أنس: أنه ينتهي إليها كل من كان على سنة سيدنا محمد ﷺ ومنهاجه.

[٤١] أنظر معاني القرآن للماوردي

إن قلنا معناه رأى الله كيف يفهم عند سدرة المنتهى ؟ قلنا فيه أقوال: الأول قول من يجعل الله في مكان وهو باطل، الثاني رآه محمد ﷺوهو عند سدرة المنتهى لأن الظرف قد يكون ظرفا للرائي كما ذكرنا من المثال يقال رأيت الهلال، فيقاله لقائله أين رأيته ؟ فيقول على السطح وربما يقول عند الشجرة الفلانية، وأما إن قلنا إن المراد جبريل عليه السلام فالوجهان ظاهران وكون النبي ﷺ مع جبريل عند سدرة المنتهى أظهر .

إضافة السدرة إلى المنتهى من أي: أنواع الإضافة ؟ نقول يحتمل وجوها : أحدها: إضافة الشيء إلى مكانه يقال أشجار بلدة كذا لا تطول من البرد ويقال أشجار الجنة لا تيبس ولا تخلو من الثمار، فالمنتهى حينئذ موضع لا يتعداه ملك، وقيل لا يتعداه روح من الأرواح. وثانيها: إضافة المحل إلى الحال فيه، يقال: كتاب الفقه، ومحل السواد، وعلى هذا فالمنتهى عند السدرة تقديره سدرة عند منتهى العلوم. ثالثها: إضافة الملك إلى مالكه يقال دار زيد وأشجار زيد، وحينئذ فالمنتهى إليه محذوف تقديره سدرة المنتهى إليه، قال

الله تعالى: ﴿إلى ربك المنتهى﴾ فالمنتهى إليه هو الله وإضافة السدرة إليه حينئذ كإضافة البيت إليه للتشريف والتعظيم.[٤٢]

والصواب في ذلك أن يقال: إن معنى المنتهى الانتهاء، فكأنه قيل: عند سدرة الانتهاء. وجائز أن يكون قيل لها سدرة المنتهى: لانتهاء علم كلّ عالم من الخلق إليها. وجائز أن يكون قيل ذلك لها، لانتهاء ما يصعد من تحتها، وينزل من فوقها إليها. وجائز أن يكون قيل ذلك كذلك لانتهاء كلّ من خلا من الناس على سنة رسول الله ﷺ إليها.[٤٣]

[٤٢] أنظر مفاتيح الغيب للرازي

[٤٣] أنظر الطبري جامع البيان عن تأويا آى القرآن

الصراط

هو لغة طريق واضح و مسلك و اصطلاحا: جسر ينصب على نار جهنم يوم القيامة، فيجتاز عليه الناس على حسب أعمالهم وتفاوت درجاتهم، يَرِدُهُ الأولون والآخرون، وهو طريقُ أهلِ المحشرِ لدخولِ الجنةِ، قال ابنُ حَجَرٍ العَسقَلانيُّ: إنَّ الصِّراطَ جِسرٌ مَوضوعٌ على مَتنِ جَهنَّمَ، وأنَّ الجَنةَ وراءَ ذلك، فيَمُرُّ عليه النَّاسُ بحَسَبِ أعمالِهم، فمنهمُ النَّاجي: وهو مَن زادَت حَسَناتُه على سَيِّئاتِه، أوِ استَويا، أو تَجاوَزَ اللهُ عنه، ومنهمُ السَّاقِطُ: وهو مَن رَجَحَت سَيِّئاتُه على حَسَناتِه إلَّا من تَجاوَزَ اللهُ عنه، فالسَّاقِطُ من الموَحِّدينَ يُعذَّبُ ما شاءَ اللهُ، ثُمَّ يَخرُجُ بالشَّفاعةِ وغَيرِها، والنَّاجي قد يَكونُ عليه تَبِعاتٌ وله حَسَناتٌ توازيها أو تَزيدُ عليها، فيُؤخَذُ من حَسَناتِه ما يَعدِلُ تَبعاتِه، فيُخَلَّصُ منها.

وقد دلَّ الكتاب والسُّنة على إثباته، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ

الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾.[٤٤] ذهبَ أكثرُ المفسّرين أنَّ المراد بوُرودِ النار مرور على الصراط. وقال ابنُ عاشور: الوُرودُ: حَقيقَتُه الوُصولُ إلى الماءِ للِاستِقاءِ. ويُطلَقُ على الوُصولِ مَطلَقًا مجازًا شائِعًا، وأمَّا إطلاقُ الوُرودِ على الدُّخولِ فلا يُعرَفُ إلَّا أن يكونَ مَجازًا غيرَ مَشهورٍ فلا بُدَّ له من قَرينةٍ.

عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: وترسل الأمانة والرحم ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالاً، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ. قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ. حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلاَ يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلاَّ زَحْفًا، قَالَ: وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلاَلِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ اُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ. وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ

[٤٤] [مريم: ٧١، ٧٢]

جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا.[٤٥] قالَ ﷺ: ﴿إذا خَلَصَ المؤمنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بقَنْطَرَةٍ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ، فيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كانتْ بينهُمْ في الدُّنيا، حتَّى إذا نُقُّوا وهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بدُخُولِ الجنَّةِ، فوالذي نَفْسُ محمَّدٍ بيَدِهِ، لأَحَدُهُمْ بمَسْكَنِهِ في الجنَّةِ أَدَلُّ بمَنْزِلِهِ كانَ في الدُّنيا﴾.[٤٦]

وقال الأشعريُّ: وأجمعوا على أن الصراطَ جِسْرٌ ممدودٌ على جهنم، يَجوزُ عليهِ العبادُ بقدرِ أعمالِهم، وأنهم يَتفاوتون في السُّرْعةِ والإبطاءِ على قدرِ ذلكَ. فمنهم من يمرُّ كطرف العين، ومنهم كخطف البصر لايشعر به، ومنهم كالريح، ومنهم كالطير، ومنهم كأجاويد الخيل والركاب، ومنهم من يبدو له أنه أدق من السيف، ومنهم من يقع من فوقه ثم يهوي في النار، والكافر سوف يهوي في نار جهنم، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ﴾.[٤٧]

---

[٤٥] رواه مسلم

[٤٦] رواه البخاري

[٤٧] [يس: ٦٦].

والسير هنا ليس على قدر الأبدان والحسّ، إنما هو على حسب الأعمال، قد يَكونُ عُبورُ الناس على الصِّراطِ بسُرعةٍ، والمُتَباطِئُ في دينِهم يَكونُ عُبورُهم على الصِّراطِ ببُطءٍ، والمُسْرِفُون بفِعلِ المَعاصي رَبَّما يُلقون في جَهَنَّمَ يُطهَّرُون بما يُصيبُهم من العَذابِ ثُمَّ يَخرُجُون؛ إمَّا بشفاعةٍ، وإمَّا بانتِهاءِ عُقوبَتِهم، وإمَّا بفَضلِ اللهِ عليهم ورَحمَتِه.

نبينا محمد ﷺ أول من يجوز الصراط من الرسل بأمته، فوق جهنم ليصل إلى الناحية الأخرى المفضية إلى الجنة. لا يفعل ذلك بمفرده؛ إنَّما يعبر بأمَّته، وهذا من الفضل العظيم لهذه الأمَّة. عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: ﴿ هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟﴾ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: ﴿ فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟﴾ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمْ اللهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا،

فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمْ اللهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَدْعُوهُمْ، فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنْ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ.

قال سُفيانُ بنُ عُيَينةَ: قال سُفيانُ بنُ عُيَينةَ: ﴿السُّنَّةُ عَشَرةٌ، فَمَن كُن فيه فقَدِ استَكمَلَ السُّنَّةَ، ومن تَرك منها شَيئًا فقد تَرَك السُّنَّةَ: إثباتُ القَدَرِ، وتَقديمُ أبي بَكرٍ وعُمَر، والحَوضُ، والشَّفاعةُ، والميزانُ، والصِّراطُ...﴾ قال الغَزاليُّ: وأن يُؤمِنَ بأنَّ الصِّراطَ حَقٌّ، وهو جِسرٌ مَمدودٌ على مَتنِ جَهنَّمَ، أحَدُّ من السَّيفِ، وأدَقُّ من الشَّعرةِ.

اختَلَفَ العُلَماءُ في هذا الصِّراطِ: هَل هو صِراطٌ واسعٌ يَسَعُ أممًا عَظيمةً أو هو صِراطٌ ضَيِّقٌ؟ الجواب على قَولينِ؛ فالقول الأول: إنَّه أدَقُّ من الشَّعرِ، وأحَدُّ من السَّيفِ،[٤٨] فإذا قيلَ: إنَّ هذا لا يُمكِنُ العُبورُ عليه عقلا، ؛ أجيب بأنَّ أمورَ الآخِرةِ لا تُقاسُ بأمورِ الدُّنيا، هذا قياس مع الفارق وهو باطل، لاسيما الجَنَّةَ حُفَّت بالمَكارِه.

[٤٨] عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه: بَلَغَني أنَّ الجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ.

والقول الثاني: إنَّه صِراطٌ واسعٌ، فيه مَزلَّةٌ ومَدحَضةٌ، مُخيفٌ غايةَ الخَوفِ.

الميزان

الميزان لغة: ما تقدر به الأشياء خفة، وثقلاً. وشرعًا: ميزان حقيقي، له كفتان يضعه الله تعالى يوم القيامة؛ تُوزن فيه أعمال العباد، خيرها وشرها. وهو لا يَعْلَمُ قَدْرَهُ إلاَّ اللهُ، من أعظمِ المواطنِ الْمَهُولَةِ يومَ القيامةِ، قال ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ: ﴿للناسِ عندَ الميزانِ تَجَادُلٌ وزِحامٌ﴾.[٤٩]

ويدل على ذلك الكتاب والسنة، فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[٥٠] وهذه الآية تدل على دقة الميزان. وقال تعالى: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ

[٤٩] رواه البيهقيُّ

[٥٠] [الأنبياء:٤٧]

مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾[٥١]

ومن السُّنة: ﴿تُوضَعُ الْمَوَازِينُ يومَ القيامَةِ، فيُؤْتَى بالرَّجُلِ فَيُوضَعُ في كِفَّةٍ، فيُوضَعُ ما أُحْصِيَ عليهِ، فتَمَايَلَ بِهِ الْمِيزَانُ، قالَ: فَيُبْعَثُ بِهِ إلى النَّارِ، فإذا أُدْبِرَ بِهِ إذا صَائِحٌ يَصيحُ مِنْ عندِ الرَّحْمَنِ، يقولُ: لا تَعْجَلُوا، لا تَعْجَلُوا، فإنهُ قَدْ بَقِيَ لَهُ، فيُؤْتَى ببطَاقَةٍ فيها: لا إلهَ إلاَّ اللهُ، فتُوضَعُ مَعَ الرَّجُلِ في كِفَّةٍ، حتَّى يَمِيلَ بِهِ الْمِيزَانُ﴾[٥٢] وحديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه، قال النَّبي صلى الله عليه وسلم: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ.[٥٣]"

قالَ أبو إسحاقَ الزَّجَّاجُ: أَجْمَعَ أَهْلُ السُّنَّةِ على الإيمانِ بالْمِيزَانِ، وأَنَّ أَعْمَالَ العِبَادِ تُوزَنُ يومَ القيامَةِ، وأَنَّ الْمِيزَانَ لهُ لِسَانٌ وكِفَّتَانِ

---

[٥١] [الأعراف: ٨، ٩]

[٥٢] رواه أحمدُ وحسَّنه الهيثمي

[٥٣] متفق عليه

ويَميلُ بالأعمالِ﴾ انتهى. وقالَ ابنُ بطَّة في وُجوب الإيمان بالميزان. وقدِ اتَّفَقَ العُلَمَاءُ والزُّهَّادُ والعُبَّادُ أنَّ الإيمانَ به واجِبٌ حتماً.

والميزانَ هو من المواطنِ الرهيبةِ يومَ القيامةِ، يَنْسى فيهِ المرء نفْسَهُ و عياله، ويَنشغلُ بالميزان الذي يوزن فيه أعماله، عنْ عائشةَ رضيَ الله عنها ﴿أنها ذكَرَتِ النَّارَ فبَكَتْ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: ما يُبْكيكِ؟ قالتْ: ذكَرْتُ النارَ فبَكَيْتُ فهَلْ تَذكُرُونَ أهْلِيكُمْ يومَ القيامَةِ؟ فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: أمَّا في ثلاثةِ مَواطِنَ فلا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَداً: عِنْدَ الْمِيزانِ حتى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَوْ يَثْقُلُ، وعِنْدَ الكِتَابِ حينَ يُقَالُ: ﴿ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ﴾ حتَّى يَعْلَمَ أيْنَ يَقَعُ كِتابُهُ أفي يَمينِهِ أمْ في شِمَالِهِ أمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وعِنْدَ الصِّرَاطِ إذا وُضِعَ بينَ ظَهْرَيْ جَهنَّمَ﴾. [٥٤]

قال القرطبي: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها. و إنّ

[٥٤] رواه أبو داود

كلَّ أعمالِ البرِّ تثقلُ في الميزانِ، وتجعلُ كِفّةَ الحسناتِ راجحةً على كِفّةِ السيئاتِ. فأولئك هم الفائزون بالجنة، فالمؤمنون على تفاوت درجاتهم في الأعمال همُ المفلحون، وإنْ عُذّبوا على بعضِ ذنوبهم بمقدارها. قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ *فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ *تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ *﴾[٥٥].

وعن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: " إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر فيقول: أتنكر من هذا شيئًا ؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر أو حسنة ؟ فيقول: لا يا رب، فيقول الله عز وجل: بلى إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا

[٥٥] [المؤمنون: ١٠١ ١٠٤]

الله وأن محمدًا رسول الله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول: إنك لن تظلم. فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء "[٥٦].

هناكَ أشياءُ تجعلُ كفَّة الحسناتِ ثقيلةً جدّاً، منها: أولا: حُسْنُ الخلق: قال رسول الله ﷺ: ﴿ ما مِنْ شيءٍ أَثْقَلُ في ميزانِ العبدِ المؤمنِ يومَ القيامةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وإنَّ اللهَ يُبْغِضُ الفاحِشَ البَذِيءَ﴾. ثانيا: تسبيح الله وتحميده: قال رسول الله ﷺ: ﴿ كلمتانِ خفيفتانِ على اللسانِ، ثقيلتانِ في الميزانِ، حبيبتانِ إلى الرحمنِ: سبحانَ اللهِ وبحمدِهِ وسبحانَ اللهِ العظيم ﴾. ثالثا: الحمد لله: قال رسول الله ﷺ: ﴿ الطُّهورُ شَطْرُ الإيمانِ، والحمدُ لله تملأُ الميزانَ، وسُبحانَ الله والحمْدُ للهِ تملان أو تملأ ما بينَ السماواتِ والأرضِ، والصلاةُ نورٌ، والصدقةُ برهانٌ، والصبرُ ضياءٌ، والقرآن حُجَّةٌ لكَ أو

[٥٦] أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب، والبيهقي والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

عليكَ، كلُّ الناسِ يغدو، فبائعٌ نفسَه، فمعتقُها أو موبقُها. قوله: ﴿ وسبحان الله والحمد لله تملان تملأ ما بين السموات والأرض ﴾ سببُ عظيمُ فضلِها ما اشتملت عليه من التنزيه لله تعالى، والافتقار إليه. رابعا: وقف الخيلِ في سبيل الله: قال رسول الله ﷺ: ﴿ مَنِ احتبسَ فرساً في سبيلِ اللهِ إيماناً باللهِ، وتصديقاً بوعدِهِ، كان شِبَعُهُ ورِيُّهُ وَرَوْثُهُ وبَوْلُهُ حسناتٍ في ميزانه يومَ القيامةِ ﴾.[٥٧]

[٥٧] القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ج٢ ص ١٣٤

الحوض

هو لغة: الجمع، ويطلق على مجتمع الماء. وشرعًا: حوض النَّبي ﷺ ، الذي يرده المؤمنون حينما يشتد عليهم الكرب في الموقف وتدنو الشمس من رؤوس الخلائق مقدار ميل، فيعرق الناس، ويشتد بهم العطش. قد أجمع أهل السُّنة والجماعة على إثبات الحوض، واستدلوا على ثبوته بحجة شرعية وهي السُّنة، والإجماع.

فأما السنة فمنها: حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال النَّبي صلى الله عليه وسلم: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا، لَيَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ، وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ"[٥٨]. وجندب رضي الله عنه قال النَّبي صلى الله عليه وسلم: «أَنَا فَرَطُكُمْ [٥٩]عَلَى الْحَوْضِ"[٦٠].

---

[٥٨] رواه البخاري ومسلم

[٥٩] والفرط: هو الذي يسبق إلى الحوض.

[٦٠] رواه البخاري ومسلم برقم

قال السيوطي رحمه الله: « ورد ذكر الحوض من بضعة وخمسين صحابيًا منهم: الخلفاء الأربعة الراشدون، وحفّاظ الصحابة المكثرون، رضوان الله عليهم أجمعون ". قال ابن القيم رحمه الله: « قد روى أحاديث الحوض أربعون من الصحابة، وكثير منها، أو أكثرها في الصحيح ".

الكَوثرُ والحوضُ مِن فَضلِ اللهِ الَّذي أعطاهُ لنَبيِّه ﷺيومَ القيامةِ؛ زِيادةً في إكرامِهِ ولُطفِه به وبأُمَّتِه، وسيَشرَبُ منه المُؤمِنون. فالحوض مخلوق الآن، كما فى حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: « أن النَّبي ﷺخرج يومًا فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف على المنبر فقال: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ[٦١].

المعتزلة والخوارج ينكرون الحوض، لكن يُردُّ عليهم بالنَّص الشرعي، والإجماع. قال القرطبي رحمه الله: «قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتدَّ عن دين الله، أو أحدث فيه ما

[٦١] رواه البخاري برقم

لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه، وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها، والرَّوافض على تباين ضلالها... وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم، وتطميس الحق وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي[٦٢].

قال النّووي رحمه الله: «قال الإمام الحافظ أبو عمرو بن عبد البر: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض، كالخوارج، والرَّوافض، وسائر أصحاب الأهواء، قال: وكذلك الظلمة المسرفون في جور، وطمس الحق والمعلنون بالكبائر، قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر والله أعلم"[٦٣].

قال ابن حجر رحمه الله:» «وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ»يحتمل أنه كشف له عنه لمَّا خطب، وهذا هو الظاهر، ويحتمل أنه يريد رؤية القلب"[٦٤].

---

[٦٢] انظر: التذكرة للقرطبي ص ٣٠٦

[٦٣] شرح النووي لمسلم المجلد الثالث، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء.

[٦٤] أنظر: فتح الباري المجلد ١١، كتاب الرقاق، باب في الحوض.

هناك الفرق بين الكوثر، والحوض: فأما الكوثر فيكون في الجنة، وأما الحوض فيكون في أرض المحشر. وكذا الكوثر هو نهر عظيم جاري فهو أصل، والحوض هو مجمع ماء فرع عن الكوثر؛ لأنه يصب في الحوض ميزابان، كما فى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ قال عن الكوثر: «نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ حَوْضٌ[٦٥].

أما ماؤهما فهو واحد، إلا أن أحدهما في الجنة، والآخر في المحشر، ويقال على كل منهما اسم الكوثر، كما قال ﷺفي وصف الحوض: يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ.[٦٦]

وأول من شرب من حوضه ﷺ صنفان، الصنف الأول: فقرآء المهاجرين، الذين عاشوا في حياتهم الدنيا دون أن يذوقوا نعيمها، كما قال ﷺ: ﴿ أولُ الناسِ ورودًا عليه فقراءُ المهاجرين؛

---

[٦٥] رواه مسلم.

[٦٦] يغت: أي يدفق دفقا شديدا متتابعاً، فتبين بهذا أن ماء الحوض مستمد من نهر الكوثر في الجنة .

الشُّعثُ رؤوسًا، الدُّنسُ ثيابًا، الذين لا يَنكحون الْمُتنعِّمات، ولا تُفتَحُ لهم السُّدَدُ﴾.[٦٧] والصنف الثاني: أهل اليمن، لفضلهم وسبقهم في الإسلام ونصرتهم له، كما قال ﷺ: ﴿ إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لأَهْلِ اليَمَنِ، أَضْرِبُ بعَصَايَ حتَّى يَرْفَضَّ عليهم. فَسُئِلَ عن عَرْضِهِ فَقالَ: مِن مَقَامِي إلى عَمَّانَ، وَسُئِلَ عن شَرَابِهِ فَقالَ: أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، يَغُتُّ فيه مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الجَنَّةِ، أَحَدُهُما مِن ذَهَبٍ، وَالآخَرُ مِن وَرِقٍ ﴾.[٦٨]

قد ذكر الصحابة حَوْضَ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ حَوْضٌ وَاسع طُوْلُهُ شَهْر وَعَرْضُهُ شَهْر وآنِيَتُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ فِي اللَّمَعَانِ والحُسْنِ والكَثْرَة وَمَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَن وأَحْلَى مِنَ العَسَل وأَطْيَبُ رِيْحًا مِنَ المِسْك وأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْج، وهَذَا الحَوْضُ يَصُبُّ فِيْهِ مِيْزَابَانِ مِنْ نَهْرِ الكَوْثَر: أَحَدُهُمَا: مِنْ ذَهَب والثَّانِي: مِنْ فِضَّة. عن ابن عمرو أن النبي ﷺ قال: حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ

---

[٦٧] رواه الترمذي

[٦٨] رواه مسلم

مِنَ الوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَن شَرِبَ منه فلا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا.[٦٩]

إنّ لكلّ نبي من أنبيائه تعالى حوضًا، لكن حوضه ﷺ أعظم وأكثره حلاوة و واردًا، قال الرسول ﷺ: «إن لكل نبي حوضًا، ،وإنّهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة»، وحوضه ﷺ من نهر الكوثر، وهو نهر في الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.

وموقف الحوض يكون قبل الصراط؛ لأن الصراط جسر على جهنم ممدود يجاز عليه، فمن جازه سلم من النار، فلو كان بعد الصراط لامتنع أن يطرد عنه أحد. والحوض لا يكون على هذه الأرض، وإنما يكون في الأرض المبدلة، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾.[٧٠]

---

[٦٩] أخرجه الشيخان

[٧٠] إبراهيم:٤٨

وأما الأعمال لنيل شرف وردود حوضه ﷺ فمنها :

أولا: الصَّبْرُ على أَذَى النَّاس، قال ﷺ: إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ.[٧١]

ثانيا: المُحَافَظَةُ على الوُضُوْء، قال ﷺ في وَصْفِ مَنْ لَمْ يَرَهُ مِنْ اَتْبَاعِه-: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ [٧٢]مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ.[٧٣]

ثالثا: الحَذَرُ مِنَ الظُّلْمِ أو الإِعَانَةُ عَلَيْه قال ﷺ: إِنَّهَا سَتَكُونُ أُمَرَاءُ يَكْذِبُونَ وَيَظْلِمُونَ فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَا يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَسَيَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ.[٧٤]

---

٧١ ﴿رواه البخاري ومسلم.

٧٢ الغُرَّة: بَيَاضٌ في وَجْهِ الفَرَس والتَّحْجِيل: بَيَاضٌ في قَوَائِمِه.

٧٣ رواه مسلم

٧٤ رواه أحمد

المحشر

هو موضع الحشْر. ومنه المحشَر، وهو المكان الذي يُحشر فيه الناس يوم القيامة، عَن أبي هُرَيرةَ عَنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، قال: ﴿يُحشَرُ النَّاسُ على ثَلاثِ طَرائِقَ، راغِبينَ راهِبينَ، واثنانِ على بَعيرٍ، وثَلاثة على بَعيرٍ، وأربَعة على بَعيرٍ، وعَشَرةٌ على بَعيرٍ، وتَحشُرُ بَقِيَّتَهم النَّارُ، تَقيلُ مَعَهم حَيثُ قالوا، تَبيت مَعَهم حَيثُ باتوا، وتُصبحُ مَعَهم حَيثُ أصبَحوا، وتُمسي مَعَهم حَيثُ أمسوا﴾. [٧٥]

عنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: ﴿ حَدَّثَنِي الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ النَّاسَ يُحْشَرُونَ ثَلَاثَةَ أَفْوَاجٍ: فَوْجًا طَاعِمِينَ كَاسِينَ رَاكِبِينَ، وَفَوْجًا يَمْشُونَ وَيَسْعَوْنَ، وَفَوْجًا تَسْحَبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى النَّارِ» فَقُلْنَا: يَا أَبَا ذَرٍّ قَدْ عَرَفْنَا هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ،

[٧٥] أخرجه البخاري

فَمَا بَالُ الَّذِينَ يَمْشُونَ وَيَسْعَوْنَ؟ قَالَ: يُلْقِي اللَّهُ الْآفَةَ عَلَى الظَّهْرِ فَلَا ظَهْرَ ﴾.[٧٦]

كلما يبعث الناس من قبورهم تستقبلهم ملائكة الرحمن تهدئ من روعهم، وتطمئن قلوبهم « إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ *لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ *لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ »[٧٧] الفزع الأكبر: هو النفخ في الصور، قاله ابن عباس رضي الله عنهما. [٧٨]

وأما الكفار فينادون بالويل والثبور عندما ينفخ في الصور متسائلين عمن أقامهم من رقدتهم، كما قال الله تعالى: « وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ »[٧٩] وعن

---

[٧٦] رواه الطبراني والحاكم وصححه

[٧٧] [الأنبياء: ١٠١-١٠٣].

[٧٨] أنظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

[٧٩] [يس: ٥١ -٥٢].

قتادة قال حدثنا أنس، رضي الله عنه، أن رجلاً قال يا نبي الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال : ﴿ليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة﴾ قال قتادة : بلى وعزة ربنا.[٨٠]

أهوال يوم الجمع، يوم المحشر، فيأذن الله تعالى أن تُعاد الأرواح في الأبدان، ويحيي الله الخلائق بعد موتها للجزاء والحساب، فتعود الأرواح إلى أجسادها التي كانت في الدنيا كأكمل ما تكون، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.[٨١]

فَيُساق الناسُ وجميع الخلائق ابتداءً إلى أرضِ الشام، فقَدْ صَحَّ أنها هِيَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ، فيُساقون إليها منهم الراكب، ومنهم الماشي، ومنهم من تسحبه الملائكة على وجهه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا [٨٢]* وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ

---

[٨٠] رواه البخاري

[٨١] [الأنبياء: ١٠٤]،

[٨٢] قال ابن عباس رضي الله عنهما : « وفدا : ركبانًا» ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « لا والله ما على أرجلهم يحشرون، ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحائل من ذهب ، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة.

وِرْدًا﴾[٨٣] قال المفسرون: «يُحشرُ المتقون على الإبل النجائب تكريمًا لهم، ويُحشر المجرمون وِرْدا يخنقهم العطش.

الناس يُحشرون على طرائق، كما قال رسول الله ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يومَ القِيَامَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: صِنفٌ مُشَاةٌ، وَصِنفٌ رُكبَانٌ، وَصِنفٌ عَلَى وُجُوهِهِم»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِم؟ وَقَالَ عَفَّانُ: يَمْشُونَ - قَالَ: «إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُم عَلَى أَرْجُلِهِم قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُم عَلَى وُجُوهِهِم، أَمَا إِنَّهُم يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِم كُلَّ حَدَبٍ وَشَوكٍ".[٨٤]

أما أرض المحشر التي يحشرون إليها بعد قيامهم من القبور، فقد وضح النبي ﷺ : يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد، عفراء: ليست نقية البياض، وإنما بياض يضرب إلى حمرة، كقرصة النقي أي: كقرص الخبز النقي الخالي من الغش والنخالة، مستوية ليس فيها معلم لأحد: لا

[٨٣] [مريم: ٨٥ - ٨٦]

[٨٤] روى الإمام أحمد

علامة من سكنى، أو بناء، أو أثر، أو جبل، أو صخرة بارزة، وإنما هي مستوية لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا.[٨٥]

تبدو حقيقة الدنيا لأهلها وحقارتها فيه، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾[٨٦] وقال عن المجرمين: ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا * يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴾.[٨٧]

هم لا يستطيعون الاختباء خلف أي شيء في تلك الأرض: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ.[٨٨] أي الله يبدل معالمها، ويغير صفاتها، وقال النبي ﷺ: تمد الأرض يوم القيامة مد الأديم لعظمة الرحمن ، فلا يكون لرجلٍ من بني آدم فيه إلا موضع قدميه. وكلُّ من مات يحييه الله ويعيده جميعُ الموتى المقبورين، من احترقوا

---

[٨٥] طه:١٠٧

[٨٦] [يونس: ٤٥].

[٨٧] [طه: ١٠٢، ١٠٣]

[٨٨] إبراهيم:٤٨

وأصبحوا رماداً، من أكلتهم السباع، من غرق في البحار وأكلتهم الأسماك، كلّهم يعيدهم الله، قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.[٨٩]

فالأرض قد انتهى أجلها، وحان فنائها, ثم يُنْقَل جميع الخلائق عِنْدَ دَكِّ الجِبالِ، وتغيّر موازين الأرض والسماء إِلى ظُلْمَةٍ عِنْدَ الصِّراطِ، ثمّ إلى أَرْضٍ المحشر، أرضٌ بَيْضاءُ كَالفِضَّةِ لَيْسَ عَلَيْها شَجَرٌ وَلا وِهادٌ وَلا جِبَالٌ، وَعَلَيْها يكونُ الحِساب.

ويُبعث كلُّ إنسان على حالة مات عليها، قال ﷺ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»، وفي الحديث: «الَّذِي يَمُوتُ وَهُوَ مُحْرِمٌ يُبْعَثُ يَومَ القِيَامَةِ مُلَبِّيًا، وَالشَّهِيدُ يُبْعَثُ يَومَ القِيَامَةِ وَجَرحُهُ يَثْعَبُ، اللَّونُ لَونُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ المِسكِ.

أول من تنشق عنه الأرض هو نبينا ﷺ ، الذي يخرج من قبره، ثم يخرج الناس على إثره، قال ﷺ: ﴿ .. وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي

[٨٩] [الكهف: ٤٧]

يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي﴾ أَيْ عَلَى أَثَرِي، أَيْ إِنَّهُ يُحْشَرُ قَبْلَ النَّاسِ.[٩٠]

ويحشر بعض الصالحين من بطون الطير والسباع، قال النبي ﷺ لما مرَّ على حمزة بعد وقعة أحد، وقد جُدع، أي: قطع أنفه، ومثِّل به، قطعت بعض أعضائه، فقال ﷺ: لولا أن تجد صفية في نفسها، لتركته حتى تأكله العافية، وهي السباع والطير التي تقع على الجيف، حتى يحشره الله من بطون الطير والسباع، ثم كفنه في نمرة ﷺ. و هذا دليل على أن كل ميت احترق، وأكلته الحيتان و الطيور والسباع، فالله تعالى سيحشره يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا﴾.[٩١]

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: أن النبي قال: ستخرج نار قبل يوم القيامة من بحر حضرموت أو من حضرموت تحشر الناس. قالوا: فيم تأمرنا يا رسول الله. قال: عليكم بالشام.[٩٢]

---

[٩٠] أنظر ابن حجر العسقلاني، فتح الباري

[٩١] [البقرة: ١٤٨]

[٩٢] رواه أحمد

الناس كلهم يذهلون من أهول المحشر وعاقبتها قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾[٩٣]. وقال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾[٩٤]

الأهوالُ على أرض المحشر كثيرة, تتناثر النجوم، وينطمس ضوء الشمس، ويبقى حرها، ويشتدّ الظلام، وتنشق السماء فتسمع الخلائق لانشقاقها صوتاً مرعبا فظيعاً، ترى الملائكة هابطين من السماء صفاً صفاً يحيطون بأرض المحشر، لكل امرئ منهم سائق وشهيد، وجمع الخلائق فيها بصعيد واحد، و أهل السماء أكثر من أهل الأرض أضعافاً مضاعفة، والجوع قد قطع الأمعاء، والعطش قد خنق الحناجر والأفئدة، والعرق قد بلغ سبعين ذراعا في الأرض، و يقول المجرمون: ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾[٩٥].

---

[٩٣] [عبس: ٣٤ – ٣٧]

[٩٤] [المزمل: ١٧]

[٩٥] [الكهف: ٤٩]

قال ﷺ: يحشر الخلائق كلهم يوم القيامة، البهائم والدواب والطير، وكل شيء، فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجمّاء من القرناء التي لها قرون ونطحت أخرى ليس لها قرون، يقتص الله للتي ليس لها قرون، للمنطوحة من الناطحة، وهذا من عدل الله، ثم يقول لهذه الدواب والطيور والوحوش: كوني تراباً، فلهذا يقول الكافر: يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا.[٩٦]

[٩٦] النبأ: ٤٠

الجنة والنار

الجنة ترجع إلى معنى لغوي يعني: جن بمعنى ستر، لكثرة الأشجار فيها بما في النخيل، وإنّ أشجارها ونخيلها تكون مُلتفّة على بعضها البعض حتى تستر ما فيها، واصطلاحا هي الدار التي أعدّها الله تعالى لعباده المؤمنين لتكون لهم جزاءً ونعيماً، فقد أعدّ فيها ما تشتهيه أنفسهم وتطيب به أعينهم، ثواباً لهم على أعمالهم الصالحة في دنياهم.

اتفق أهل السنة والجماعة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن للأدلة عليهما. فمنها قوله تعالى عن الجنة: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله﴾[٩٧] وقال تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى﴾[٩٨] وعن النار: ﴿أعدت للكافرين﴾[٩٩]

---

[٩٧] [الحديد: ٢١]

[٩٨] [النجم: ١٣-١٥].

[٩٩] [البقر: ٢٤]

أي هيئت، وذلك دليل على أنهما موجودتان الآن. وقال تعالى عن النار: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾[١٠٠] والمراد بالمعصية الكفر لتأبيد الخلود في النار. قال القرطبي: قوله: ﴿أَبَدًا﴾: هذا دليل على أن العصيان هنا الشرك،[١٠١] لأن العاصي بغير الشرك لا يخلد فيها أبدا.

وأما السنة: فقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى[١٠٢] كما في قصة الإسراء، وفي آخره ثم ﴿نطلق بي جبرائيل حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال: «ثم دخلت الجنة فإذا هي جنابذ [أي قباب] اللؤلؤ وإذا ترابها المسك﴾ و عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار

[١٠٠] الجن: ٢٣.

[١٠١] أنظر تفسير جامع القرآن، ١٩ /٢٧

[١٠٢] صحيح البخاري ٣٣٦ ومسلم ٢٣٧

يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة﴾.[١٠٣] عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿ طلعت في الجنة، فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار، فرأيت أكثر أهلها النساء[١٠٤]﴾.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ﴾ [١٠٥]. قال الحافظ رحمه الله تعالى: يَدُلُّ هَذَا عَلَى أَنَّ الْفِرْدَوْسَ فَوْقَ جَمِيعِ الْجِنَانِ، وَلِذَا قَالَ ﷺ تَعْلِيمًا لِلْأُمَّةِ وَتَعْظِيمًا لِلْهِمَّةِ: ﴿ فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ﴾.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله تعالى عنه- عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : ﴿ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا . قَالَ: فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا

[١٠٣] البخاري ١٢٩٠ ومسلم ٥١١١

[١٠٤] البخاري برقم ٣٢٤١، ومسلم ٢٧٣٨

[١٠٥] رواه البخاري

أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا. قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ قَالَ فَوَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا. فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا قَالَ فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ. قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا. فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَيْهَا . فَرَجَعَ إِلَيْهَا، فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا﴾.

الجنة هي رحمة الله وفضله، ليست ثمنًا للعمل، لكن يكون العمل باباً من الرحمة و سببًا لدخولها، كما قال النبي: ﴿ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ». قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا، وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ﴾.

الجنة دار نعيم لا يُمكن أن يتصوره العقل، فقد قال الله: ﴿ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ ما لا عَيْنٌ رأَت، ولا أُذُنٌ سَمِعَت، ولا

خَطَر على قَلب بَشَر، واقْرَؤُوا إن شِئْتُمْ[١٠٦]: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[١٠٧]

الجنة تتحدث، وقد تحاجت مع النار: كما قال النبي : «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِيَ لا يَدْخُلُنِي إِلا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَغِرَّتُهُمْ، فَقَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رِجْلَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلا يَظْلِمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا.»

ومن نعيم الجنة فاكهة بألوانها المختلفة، وخمرة لذّة، لا تُذهب العقول وإنّما تُدخل السرور على قلب من يشربها، وملابس أهل الجنة الاستبرق والسندس، يتّكئون في الجنة على سُرر، ويطلبون ما

---

١٠٦ الحديث القدسي

١٠٧ السجدة17

يشتهون، ويُزوّجهم الله تعالى بالحور العين، لم يطأهنّ أيّ من الإنس أو الجنّ من قبل، وغيرها.

وأعلاها جنة الفردوس، وفوقه العرش، ومنه تتفجر أنهار الجنة، قال النبي ﷺ: ﴿ فإذا سألتم الله، فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة ﴾. قال السعدي رحمه الله تعالى: «يحتمل أن المراد بجنات الفردوس: أعلى الجنة، وأوسطها، وأفضلها، وأن هذا الثواب، لمن كمل فيه الإيمان والعمل الصالح، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمقربون رضوان الله عليهم. ويحتمل أن يراد بها: جميع منازل الجنان، فيشمل هذا الثواب، جميع طبقات أهل الإيمان، من المقربين، والأبرار، والمقتصدين، كل بحسب حاله، وهذا أولى المعنيين لعمومه» [١٠٨]

ولها ثمانية أبواب، فمنها باب للمنفقين، وباب للمصلين، وباب للمجاهدين، وباب للصائمين، اسمه الريّان، وقد دعا رسول الله لأبي

[١٠٨] اتفسير السعدي[488] :

بكر رضي الله عنه أن يدخل من هذه الأبواب جميعها.وأدنى أهل الجنة مكانة له عشرة أمثال ملك من ملوك الدنيا، وأعلاهم منزلة له ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

أهل الفردوس الأعلى هم السابقون المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ . فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[١٠٩] قال السعدي رحمه الله تعالى: «والمقربون هم خواص الخلق» انتهى[١١٠] قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «من سابق في هذه الدنيا وسبق إلى الخير، كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة، فإن الجزاء من جنس العمل ، وكما تدين تدان».[١١١]

قال رسول الله ﷺ: ﴿أولُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجنةَ صورتهم على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ، لا يبصقونَ فيها ولا يمتخطونَ ولا يتغوَّطونَ، آنيتهم فيها الذهبُ، أمشاطهم من الذهبِ والفضةِ، ومجامرهم الأُلُوَّةُ، ورشحهمُ المسكُ، ولكلِّ واحدٍ منهم زوجتانِ يُرَى مُخُّ سوقهما من

---

[١٠٩] [الواقعة: ١٠-١٢]

[١١٠] تفسير السعدي: [ص:٨٣٣].

[١١١] أنظر تفسير ابن كثير[517 / 7]

وراءِ اللحمِ من الحُسْنِ، ولا اختلافَ بينهم ولا تباغضَ، قلوبهم قلبُ رجلٍ واحدٍ، يُسبحونَ اللهَ بكرةً وعشيًّا﴾.

كلما طلب أهلها فيها شيئا من شهوات الدنيا حققت له: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ - وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ - ﴿نَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ . فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ. قَالَ: فَبَذَرَ فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ فَكَانَ أَمْثَالَ الْجِبَالِ. فَيَقُولُ اللَّهُ: دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَيْءٌ. فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: وَاللَّهِ لاَ تَجِدُهُ إِلاَّ قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ ، وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ﴾[١١٢] قال ابن حجر رحمه الله تعالى في هذا الحديث أن كل ما اشتهي في الجنة من أمور الدنيا ممكن فيها»[١١٣]

[١١٢] رواه البخاري

[١١٣] أنظر ابن حجر العسقلاني، فتح الباري:٥/٢٧.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ﴿ إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر أي النجم في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال: بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين﴾.[١١٤]

عن أبي هُرَيْرَةَ أنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿ يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ﴾. وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الْأَسَدِيُّ يَرْفَعُ نَمِرَةً عَلَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ: ﴿ اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ﴾، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فَقَالَ: ﴿ سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ﴾.

دخل قومٌ الجنة، ودخل آخرون النار، وممَّن سيدخلون النار قومٌ من أمَّة رسول الله ﷺ، غلبت سيِّئاتُهم حسناتِهم، فأُدْخِلُوا النار

[١١٤] رواه البخاري

عقابًا على ذنوبهم الكثيرة، وهؤلاء لم ينْسَهم رسولُ الله ﷺ! عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ﴿ لَيَخْرُجَنَّ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَتِي، يُسَمَّوْنَ جَهَنَّمِيُّونَ﴾ . قال العز بن عبد السلام: ﴿ يدخل إلى الجنَّة من أمَّته سبعون ألفًا بغير حساب، ولم يثبت ذلك لغيره من الأنبياء﴾

ولأهل الجنة حور عين، والحوراء: هي التي في عينها كحل وملاحة، وحسن وبهاء، والعِين: حسان الأعين وضخامها، قد دل علي جمالها قوله تعالى ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ أي: كأنهن اللؤلؤ الأبيض الرطب الصافي، والحور العين، لا عيب فيهن، بل هن كاملات الأوصاف، فكل ما تأملته منها لم تجد فيه إلا ما يسر الخاطر»[١١٥] وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾[١١٦] أي: كأنهن الياقوت في الصفاء، والمرجان في البياض، الصفاء صفاء الياقوتة، والبياض بياض اللؤلؤ.[١١٧] قال ابن حجر: الحور التي يحار فيها

[١١٥] تفسير السعدي:ص ٩٩١

[١١٦] [الرحمن:٥٨].

[١١٧] أنظر تفسير الطبري:٢٧ / ١٥٢.

الطرف يبان مخ سوقهن من وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون.[١١٨]

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها﴾.[١١٩]

عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله تعالى عنه قال: كنا جلوسا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: ﴿نكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته﴾.[١٢٠] والتشبيه هنا تشبيه للرؤية بالرؤية، أي أننا كما نرى الشمس في اليوم الصحو، فلا يحجب رؤيتها أحد ولو كثيرا من الناظرين، كذلك يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة بالجلاء ، وليس هناك تشبيه المرئي بالمرئي له تعالى لإنه ليس كمثله شيء.

---

[١١٨] أنظر ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ٨ / ٥٧٠. ٢.

[١١٩] وراه البخاري

[١٢٠] الصحيحين / ٦٨٨٣ . م / ١٠٠٢

النار لغة اللهب أو الحرارة المُحرقة، واصطلاحا هي الدار التي أعدّها الله تعالى خاتمة لعذاب من كفر به تعالى، والناس والحجارة هم وقودها، مصداق قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾. نار الدنيا جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، عن النبي ﷺ قال: ﴿ناركم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم﴾.

إنّ للنار دركات، ويُدخل الله تعالى أهلها الدركات المختلفة بحسب سوء أعمالهم، و أسفل دركاتها أُعدّت للمنافقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾. قال عبدالرحمن بن أسلم: درجات الجنة تذهب علوًّا، ودرجات النار تذهب سفولًا، وأسفل الدركات هي دار المنافقين، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾.[١٢١] وأخف دركاتها كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿نَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ

[١٢١] النساء: ١٤٥

نَعْلانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ وفي رواية توضع في أخمص قدميه جمرتان يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِ الْمِرْجَلُ إي القِدْر مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا وَإِنَّهُ لأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا﴾[١٢٢]

قال رسول الله ﷺ: ﴿اشتكَتِ النارُ إلى ربها، فقالتْ: ربِّ أكلَ بعضي بعضًا، فأذِنَ لها بِنَفَسَيْنِ: نَفَسٍ في الشتاءِ ونَفَسٍ في الصيفِ، فأشدُّ ما تجدونَ من الحرِّ، وأشدُّ ما تجدون من الزَّمْهَرِيرِ﴾[١٢٣]. وعمق النار وقعرها إلى سبعين سنة، فلا يدخل أحد الجنة حتى يمر من فوق جهنم، فمنهم الذي ينجو، ومنهم الواقع في جهنم، حتى إذا دخلوا فيها فمنهم من تغرقه النار إلى كعبيه، ومنهم من تغرقه النار إلى ركبتيه، يُدعّون إلى جهنم دعّا، ويُدفعون إليها دفعاً، ويُسحبون في الحميم ثم في النار يُسجرون، تغلي بهم النار كغلي القدور، قال تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾.[١٢٤]

---

[١٢٢] رواه البخاري

[١٢٣] رواه البخاري

[١٢٤] الملك: ٧

وأهل النار في عذاب دائم سرمدي لا خلاص منه، كما أن أهل الجنة في نعيم أبدي متجدد، لا انتهاء له. قال النبي ﷺ: إن إبراهيم يلقى أباه آزر يوم القيامة وقد سربل بسربال من قطران وقد علت وجه آزر غبرة وقترة فيقول له إبراهيم: يا أبت ألم أقل لك لا تعصني. فيقول له آزر: يا بني الآن لا أعصيك. فينادي إبراهيم ربه قائلًا: ربي لقد وعدتني ألا تخزني يوم يبعثون، وأي خزي أكبر من أبي الأبعد، فيقال له يا إبراهيم إني حرمت الجنة على الكافرين.. وانظر تحت قدميك فينظر تحت قدميه فإذا هو بزيخ متلطخ بالدماء- والزيخ هو ذكر الضبع- فيؤخذ من قوائمه ويلقى في النار.[١٢٥]

هم يُنادون في النار من الجوع والعطش، يُجاء إليهم بأخبث أنواع الطعام، وأمّا طعامهم فهو الضريع، والضريع شوك مرّ نتن لا يُشبع، وشرابهم حميم شديد الحرارة يُقطّع الأمعاء والأحشاء، وثيابهم من نار، و من شدة ما في جهنّم من عذاب يتمنى أهلها لو يموتون، ولكن يزداد عليهم العذاب. وينادون مالك النار، فيجيبهم

[١٢٥] رواه البخاري

أنهم ماكثون فيها لا خروج لهم منها، لا يُرحم من يبكي. عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: يدخل الله أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، كلٌّ خالد فيما هو فيه.[١٢٦]

للنبي ﷺ الشفاعة للمؤمنين، هو يحرص على إخراجهم من النار, اللذين فعلوا الموبقات، ولم يكن في صدورهم إلا مثقال حبَّةٍ من الإيمان. و هذا يدل على معنى رحمته ﷺ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: ﴿ .. وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً﴾. وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.[١٢٧]

[١٢٦] رواه البخاري

[١٢٧] [الأنبياء: ١٠٧].

رؤيةَ الله فى الآخرة

رؤيةُ الله فى الآخرة من أعظم نعيم أهل الجنة. فليس شىء أحبَّ إلى أهل الجنة من رؤية الله. وقد ورد أن بعضهم يرَون اللهَ فى الأسبوع مرة. وبعضهم يرونه سبحانه كل يوم مرتين. كل بحسب درجته وعلوّ مقامه عند الله، لأن نعيم أهلها متفاوتٌ على حسب الأعمال.

فأحاديث الرؤية قد بلغت حد التواتر، مع ما جاء في من أدلة القرآن. وقَد وردَ به القُرآنُ والسُّنَّةُ، كقوله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ وقال: كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ. والحديث عَن جَرِيرِ بن عَبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنه قال: كُنَّا جُلُوسًا عِندَ رَسولِ الله ﷺ إذ نَظَرَ إلى القَمَرِ ليلةَ البَدْرِ، فقال: أمَا إنَّكم سَتَرَونَ رَبَّكم كَما تَرَونَ هذا القَمَرَ، لا تُضامُونَ في رُؤيَتِه، فإنِ استَطَعتُمْ ألَّا تُغْلَبُوا على صَلاةٍ قَبلَ طُلُوعِ الشَّمسِ وقَبلَ غُرُوبِها، يَعني العَصرَ

والفَجَرَ، ثُمَّ قَرَأَ جَرِيرٌ: وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ١٢٨٠

أَنَّ النَّاسَ قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ هلْ نَرَى رَبَّنَا يَومَ القِيَامَةِ؟ قالَ: هلْ تُمَارُونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ ليسَ دُونَهُ سَحَابٌ قالوا: لا يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: فَهلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ ليسَ دُونَهَا سَحَابٌ قالوا: لَا، قالَ: فإنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذلكَ.

قَوْله ﷺ ﴿تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ﴾ الْمُرَاد تَشْبِيهُ الرُّؤْيَة بِالرُّؤْيَةِ فِى الْوُضُوح وَزَوَالِ الشَّكّ وَرَفْع الْمَشَقَّة وَالاخْتِلاف. فرؤيتُنا لله تعالى ليست كرؤية المخلوقات فى جهة أمامٍ أو خلفٍ أو فوق أو تحت أو يمين أو شمال. بل يراه المؤمنون من غير أن يكون سبحانه فى جهة واحدة، ومن غير أن يكون فى كلِّ الجهات، لأن الجهاتِ كلَّها مخلوقةٌ. خلقها الله وكان قبلها بلا جهة. والأماكنُ كلُّها مخلوقةٌ

١٢٨ [طه: ١٣٠]

خلقها الله وكان قبلها بلا مكان. وهو بعد خلق الجهات والأماكن لا يتغير، موجودٌ بلا جهة ولا مكان.[١٢٩]

عَن صُهَيبِ بنِ سِنانٍ الرُّومِيّ رَضِيَ اللهُ عَنه أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قال: إذا دَخلَ أهلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يَقُولُ اللهُ تباركَ وتعالى: تُرِيدُونَ شيئًا أزيدُكم؟ فيَقُولُونَ: ألَم تُبَيِّضْ وُجُوهَنا؟ ألَم تُدخِلْنا الجَنَّةَ، وتُنَجِّنا مِنَ النَّارِ؟ قال: فيُكشَفُ الحِجابُ فما أُعطُوا شيئًا أَحَبَّ إليهم مِنَ النَّظَرِ إلى رَبِّهم عَزَّ وجَلَّ . وزاد في روايةٍ: ثُمَّ تلا هذه الآيَةَ: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ. [١٣٠]

الرؤية لله تعالى في الجنة تكون بلا كيف ولا تشبيه ولا جهة ولا مسافة قرب أو بعد ولا كيفية ولا حجم ولا لون، ولا يكون عليهم في هذه الرؤية اشتباه ولا أدنى شك هل الذي رأوه هو الله أو غيره كما لا يشك مبصر القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب أن الذي رآه هو القمر ففي ذلك قال رسول الله ﷺ: «إنكم سترون

---

[١٢٩] أنظر: ابنُ حجرٍ العسقَلانيُّ فى فتح البارِى

[١٣٠] [يونس: ٢٦]

ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته.»[١٣١] رؤية الله تعالى في الآخرة حق يراه أهل الجنة في الآخرة بلا كيفية ولا تشبيه ولا محازاة، أما رؤية الله تعالى في المنام، فأكثرهم قالوا: لا تجوز، والسكوت في هذا الباب أحوط.[١٣٢]

لكنها من المسائل التي وقع فيها الخلاف بين أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتردية، وبين غيرهم من الفرق الإسلامية الأخرى، كالمعتزلة والشيعة والإباضية، مشيرة إلى أن أهل السنة أجمعوا على أن رؤية الله تعالى مما يدخل في الممكنات، وأن العقل لا يحيل رؤية العباد لربهم، وهي من المسائل التي لا يُعدّ الخلاف فيها مستوجبًا للكفر والردة، وإن كانت مخالفة أهل السنة والجماعة تستوجب الفسق والجنوح عن الحق.[١٣٣]

قال الإمام أبو حنيفة» والله تعالى يُرى في الآخرة، ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كمّية، ولا يكون

---

[١٣١] رواه مسلم

[١٣٢] ابن نجيم، البحر الرائق شرح كنز الدقائق/.٢٠٥

[١٣٣] دار الإفتاء المصرية

بينه وبين خلقه مسافة».[١٣٤] قال عياضٌ: ذُكِرَ في هذا الحَديثِ نَظَرُ أهلِ الجَنَّةِ إلى رَبِّهم، مَذهَبُ أهلِ السُّنَّةِ بأجمعِهم جَوازُ رُؤيةِ اللهِ عَقلًا ووُجُوبُها في الآخِرةِ لِلمُؤمِنينَ سَمعًا، نَطَقَ بذَلِكَ الكِتابُ العَزيزُ، وأجمَعَ عليه سَلَفُ الأمَّةِ وأخرجه بِضعةَ عَشَرَ مِنَ الصَّحابةِ بألفاظٍ مُختَلِفةٍ عَنِ النَّبيِّ ﷺ.

قال النَّوويُّ: اعلَمْ أنَّ مَذهَبَ أهلِ السُّنَّةِ بأجمَعِهم أنَّ رُؤيةَ الله تعالى مُمكِنةٌ غيرُ مُستَحيلةٍ عَقلًا وأجمَعُوا أيضًا على وُقُوعِها في الآخِرةِ، وأنَّ المُؤمِنينَ يَرَونَ اللهَ تعالى دُونَ الكافِرينَ... وقَد تَظاهَرَت أدِلَّةُ الكِتابِ والسُّنَّةِ وإجماعُ الصَّحابةِ فَمَن بَعدَهم مِن سَلَفِ الأُمَّةِ على إثباتِ رُؤيةِ الله تعالى في الآخِرةِ لِلمُؤمِنينَ، وأخرجها نَحوٌ مِن عِشرينَ صَحابيًّا عَن رَسولِ الله ﷺ ، وآياتُ القُرآنِ فيها مَشهورةٌ.

قال البَغَويُّ: قال أكثَرُ المُفَسِّرينَ: عَن رُؤيَتِه. قال الحَسَنُ: لَو عِلمَ الزَّاهِدونَ العابِدُونَ أنَّهم لا يَرَونَ رَبَّهم في المَعادِ لزَهِقَت أنفُسُهم في الدُّنيا. قال الحُسَينُ بنُ الفَضلِ: كَما حَجَبَهم في الدُّنيا عَن تَوحيدِه

[١٣٤] أنظر شرح الفقه الاكبر لملا علي القاري ص/ ١٣٦- ١٣٧

حَجبَهم في الآخِرةِ عَن رُؤيَتِه. وسُئِلَ مالِكٌ عَن هذه الآيةِ، فقال: لَمَّا حَجبَ أعداءَه فلَم يَرَوه تَجلَّى لِأوليائِه حَتَّى رَأَوه. وقال الشَّافِعيُّ رَضِيَ اللهُ عَنه في قَولِه: كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ: دَلالةٌ على أنَّ أولياءَ الله يَرَونَ اللهَ عِيانًا .

قال ابنُ كَثيرٍ: قَولُه: كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ أي: لَهم يَومَ القيامةِ مَنزِلٌ ونُزُلُ سِجِّينٍ، ثُمَّ هم يَومَ القيامةِ مَعَ ذَلِكَ مَحجُوبُونَ عَن رُؤيةِ رَبِّهم وخالِقِهم. قال الإمامُ أبُو عَبدِ اللهِ الشَّافِعيُّ: في هذه الآيةِ دَليلٌ على أنَّ المُؤمِنينَ يَرَونَه عَزَّ وجَلَّ يَومَئِذٍ. وهذا الَّذي قاله الإمامُ الشَّافِعيُّ، رَحِمَه اللهُ، في غايةِ الحُسنِ، وهو استِدلالٌ بمَفهومِ هذه الآيةِ، كَما دَلَّ عليه مَنطُوقُ قَولِه تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ .[١٣٥]

[١٣٥] القيامة: ٢٢، ٢٣

وقال السيوطي رحمه الله: «من خصائصه ﷺ أنه يجوز له رؤية الله تعالى في المنام، ولا يجوز ذلك لغيره في أحد القولين، وهو اختياري وعليه أبو منصور الماتريدي.»[١٣٦]

وأنكر المعتزلة رؤيةَ المؤمنين لله يوم القيامة وقالوا: إنما يُرَى الجسمُ. قال أهل الحق: ليست الجسميةُ شرطًا للرؤية. إنما شرطُ الرؤية الوجودُ. ومن أدلة أهل الحقِّ أن الأعراضَ تُرى ﴿الألوان﴾ وليست أجساما. والمشترك بين الجسم والعَرَضِ هو الوجود فقط. فشرط الرؤية الوجودُ. والله موجود فصحَّ أن يُرَى. وهذه الرؤية للمؤمنين بعد دخولهم الجنة ثابتة فى الشرع، مجمع عليها بين أهل السنة والجماعة. فلا يجوز نَفْيُها.

واستدل منكروا الرؤية بقوله تعالى: لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي.[١٣٧] فرد عليهم بحجج شرعية، ومنها الأول: أن السائل للرؤية موسى عليه السلام؛ إذ لو لم تكن

[١٣٦] جلال الدين السيوطى، أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب، ص ٣٧

[١٣٧] الأعراف:١٤٣

ممكنة لما سألها، ومن جاز له، جازت له الرؤية وذلك من باب أولى. والثاني: قوله تعالى «لن تراني» ولم يقل لست بمرئي، أو لا تجوز رؤيتي. والثالث: أن الجبل مع قوته لم يحتمل ذلك، فكيف بقوى البشر الضعيفة؟، وهذا في الدنيا، وأما في الآخرة فينشئهم الله نشأة أخرى. والرابع: أن الله تعالى علق رؤيته باستقرار الجبل مع إمكانها، ولم يعلقه بمحال. والخامس:أن الله تعالى تجلى للجبل وهو جماد غير معقول، فكيف يمنع منها أولياءه تعالى.

أخيراً، قد أوضحت دار الإفتاء المصرية: أما من ادعى رؤية الله تعالى في الدنيا يقظة فهو ضال، وذهب بعض العلماء إلى تكفيره، كما أنه لا نزاع في وقوعها منامًا وصحتها. ويجوز عقلًا وشرعًا رؤيته تعالى في الآخرة باتفاق أهل السنة والجماعة، أما في الدنيا فلا نزاع في وقوعها منامًا وصحتها، أما يقظة فاختلف الصحابة ومن بعدهم في حصولها لرسول الله ﷺ من عدمه، أما غيره ﷺ فلا تصح دعواه الرؤية في اليقظة، ومن زعمها كان من الضالين.

عالم الماورائيات

في معرفة الغيبيّات

فالغيب هو كل حقيقة لا يدرك طبيعتها العقل أو لا يتعامل معها الإنسان بالحواس حيث لا سبيل إلى معاينتها أو الوقوف عليها، والغيب لايعلمه الا الله تعالى لكنه يدركها، كالنور المحمدي والحشر و البيت العمور والجنة والنار أو كالمستقبل وما سيقع فيه. وهو ما لا سبيلَ للعقل إلى العلم به عن طريق الحواس بحالٍ ما، أو هو ما استأثَر الله بعلْمه وحجبه عن جميع خلْقه، قال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ﴾.

ولا نزيد أن يفوتنا فى نهاية هذا التقديم أن نسأل الله أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان الحسنات، إنه ولي ذلك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه، وأخر دعوىهم أن الحمد لله رب العالمين، والله من وراء القصد.

literasi nusantara
Anggota IKAPI No. 209/JTI/2013
penerbitlitnus@gmail.com
www.penerbitlitnus.co.id
@litnuspenerbit
literasinusantara_
085755971569

Agama U+17
ISBN 978-623-495-297-1
9 786234 952971